OPEN ACCESS
Received: 29 -05 -2025
Accepted: 18- 09-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

The Impact of Isolation on Shaping the Narrative in Contemporary Saudi Fiction

Wafaa Bint Saeed Al-Ghamdi *
Foooosh11@hotmail.com

Abstract:

This study investigates the role of isolation in shaping narrative structure within contemporary Saudi fiction, approaching isolation as a complex human condition that reveals the dynamics of self-awareness under psychological and social pressures. By analyzing selected Saudi novels, the research demonstrates how isolation becomes a narrative engine that drives events, influences character development, and organizes the internal structure of the story. The study shows that isolation functions not only as a thematic element but also as an artistic and semantic device that expands the expressive depth of the narrative. One of its most notable effects appears in the transformation of place: open spaces become metaphorically closed due to the character's detachment, while enclosed spaces become increasingly restrictive, reflecting the character's emotional confinement. The findings further indicate that the isolated character plays a decisive role in constructing the identity of place, as spatial perception is closely tied to psychological states. Moreover, the emergence of psychological time is shown to result from emotional shocks and intense experiences faced by isolated characters, leading to a temporal perception that diverges from objective physical time and instead unfolds as internal, subjective time.

Keywords: Closed Space, Open Space, Psychological Time, Saudi Fiction, Spatial Identity.

* Master's Student of Rhetoric and Criticism, Department of Literature, Rhetoric, and Criticism, College of Arabic Language, Imam Mohammed ibn Saud Islamic University, Saudi Arabia.

Cite this article as Al-Ghamdi, W. B. S. (2025). The Impact of Isolation on Shaping the Narrative in Contemporary Saudi Fiction, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(4): 92 -112. **https://doi.org/10.53286/arts.v7i4.2900**

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/05/29م
تاريخ القبول: 2025/09/18م

أثر العزلة في تشكيل الحكاية في الرواية السعودية المعاصرة

وفاء بنت سعيد الغامدي*
Foooosh11@hotmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة أثر العزلة في تشكيل الحكاية في الرواية السعودية المعاصرة، بوصف العزلة ظاهرة إنسانية معقدة تكشف أبعاد الوعي الذاتي وتحولاته أمام الضغوط النفسية والاجتماعية. وتنبع أهمية الموضوع من سعيه إلى الكشف عن أثر العزلة في النصوص الروائية السعودية لتكون محركًا للأحداث ومنظمًا لبنية السرد، ويتكون البحث من مقدمة، ومبحثين: يتناول المبحث الأول التعريف بالعزلة، أما المبحث الثاني فيتحدث عن أثر العزلة في بناء الحكاية ومسارها الفني، ويخلص البحث إلى أن العزلة تمثل أداة فنية ودلالية تسهم في تشكل الحكاية، وتعبر عن عمق التجربة الإنسانية في الرواية. كما أن للعزلة أثرًا بالغًا في تغيير مفهوم المكان، وطبيعته؛ فالمكان المفتوح بسبب العزلة أصبح مغلقًا، والمكان المغلق للشخصية المنعزلة أصبح أشد انغلاقيه وضيقًا؛ فكذلك الشخصية المنعزلة قامت بدور مُهمٍّ في تحديد هوية المكان، وطبيعته، حسب ما تشعر به من مشاعر، فالحالة النفسية تعدّ محورًا مُهمًّا في تشكيل المكان. وأن السبب الرئيس في نشوء ظاهرة الزمن النفسيّ هو وقوع الشخصية المنعزلة في صدمات نفسية، ومواقف قاسية، كان لها الأثر البارز في سير الزمن وتشكيله لديها، واختلافه عن الزمن الفيزيائيّ الواقعي بتحوله إلى الزمن النفسيّ الداخليّ.

الكلمات المفتاحية: المكان المغلق، المكان المفتوح، الزمن النفسي، الرواية السعودية، هوية المكان.

* طالبة ماجستير في البلاغة والنقد، قسم الأدب والبلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: الغامدي، و. س. (2025). أثر العزلة في تشكيل الحكاية في الرواية السعودية المعاصرة، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(4): 92- 112 https://doi.org/10.53286/arts.v7i4.2900

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

المقدمة:

تأتي أهمية موضوع العزلة في الرواية السعودية لأنه من أهمّ الموضوعات التي تشكّل مدخلًا عميقًا لفهم التحولات النفسية، والاجتماعية، حيث يمر بها الفرد تحت وطأة الضغوط والصعوبات التي تفرضها طبيعة الحياة الحديثة.

فالعزلة لا تقتصر على الابتعاد الجسدي فحسب، بل هي حالة وجودية عميقة تنشأ حين يشعر الفرد بانفصال داخلي، أو عجز عن التواصل مع الآخرين، و -غالبًا- ما تكون هذه الحالة سلبية، إذ تؤدي إلى التدهور النفسي والجسدي، كما تعددت مستويات العزلة؛ فقد تكون شعورًا عابرًا، أو حالة ممتدة ترتبط بزمن طويل، وقد يعيشها الفرد وهو في قلب المجتمع.

ويسعى البحث إلى تحليل أثر العزلة في تشكيل الحكاية الروائية، بما يتيح فهمًا أعمق لتمثلات العزلة في الرواية السعودية المعاصرة.

وانطلقت الدراسة من عدة أسئلة، من أبرزها: ما أثر العزلة في تشكيل الحكاية؟ وكيف أسهمت العزلة في بناء عناصرها؟ وما أثر العزلة على تلك العناصر؟

وأما الدراسات السابقة فلم أجد في المكتبات العامة، والمراكز الوطنية -بحسب ما وصلت إليه- دراسة حول موضوع العزلة في الرواية السعودية تحديدًا، ولكن توجد دراسة، تطرقت إلى ما يمكن القول عنه: إنّه تشابه، أو تقارب في هذا الموضوع، مثل:

1.الشخصية المغتربة في الرواية السعودية (1414هـ-1430هـ)، نوير بنت محمد العتيبي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الأدب، ماجستير، 1435هـ.

البقمي، ل. ع. (2022). سرديات العزلة وتمثلاتها في رواية (غربة المنازل) لعزت القمحاوي، قراءة سوسيوثقافية، *مجلة كلية اللغة العربية*.

السويكت، ع. (2017). شعرية العزلة مقاربة في تشاكل النص السجني القديم، *مجلة العلوم الإنسانية والإدارية*، (12).

وجاء البحث في مقدمة، ومبحثين: المبحث الأول: تعريف العزلة، المبحث الثاني: الأثر على الحكاية.

واعتمد البحث على منهجية التحليل النصي البنائي، وذلك من خلال قراءة الروايات المختارة قراءة متعمقة تكشف حضور العزلة في تشكيل البنية الرواية، ويركز هذا المنهج على تمثلات العزلة داخل النص، واستجلاء انعكاساتها النفسية والوجودية على بناء الحكاية، ويتيح هذا المنهج تحليل الروابط بين التجربة الإنسانية للعزلة والبنية السردية، بما يخدم الهدف الرئيس من البحث.

كما اقتصر البحث على تحليل أنماط العزلة التي ظهرت فعليًا في المدونة المدروسة، وهي العزلة الإجبارية، مثل عزلة السجن، والعزلة المرضية، مثل عزلة المستشفى، والعزلة النفسية التي تمثل حالة الانسحاب الداخلي، والانفصال الشعوري، دون التوسع في الأنماط الأخرى التي لم يحضر تمثيلها داخل الروايات المدروسة.

أما معيار اختيار الروايات فبُني على وضوح حضور العزلة في هذه النصوص باعتبارها محورًا مؤثرًا في بناء الحكاية، إضافة إلى أن هذه النماذج المتنوعة تتيح رصد الاختلاف في تمثيل العزلة داخل العمل الروائي، مما يجعل هذه العينة الأكثر ملاءمة لتحقيق هدف الدراسة.

أولًا: تعريف العزلة

جاء في لسان العرب: "عَزَلَ الشيء يعزله عزلًا، وعزله فاعتزل وانعزل وتعزّل: نحّاه جانبًا فتنحى، والعزلة: الانعزال نفسه، وكنت بمعزل عن كذا وكذا، أي: كنت بموضع عزلة منه. واعتزلت القوم أي: فارقتهم وتنحيت عنهم" (ابن منظور، 1414: 440/11).

وعرّف الجرجانيّ العزلة بتعريف مقارب لما سبق؛ إذ ذكر أنها الانقطاع، والخروج عن مخالطة الناس، والانفصال عنهم، والانزواء (الجرجاني، 2011، ص 126).

وتذهب المعاجم النفسية والاجتماعية؛ لتحديد دقيق لمفهوم الانعزال من جانب نفسيّ، واجتماعيّ، فيشير معجم مصطلحات الطب النفسيّ إلى أنّ العزلة النفسية: "هي أحد الآليات النفسية العصابية ويعني فصل الفكرة من الانفعال المصاحب لها" (الشربيني، د.ت، ص 89)، وأما العزلة الاجتماعية: "فهي تدنّي العلاقات الاجتماعية مع الآخرين والابتعاد عنهم" (الشربيني، د.ت).

وتُعد العزلة مفهومًا إنسانيًا واسع الدلالة، يجمع بين أبعاد نفسية واجتماعية وفلسفية في آن واحد، فمن الناحية الفلسفية يمكن النظر إلى العزلة بوصفها تجربة داخلية يبتعد فيها الإنسان عن محيطه ليعيد التفكير في ذاته وفي علاقته بالعالم الخارجي. وهي حالة لا تقتصر على الانفصال الجسدي، بل تمتد لتشمل وعيًا مختلفًا بالوجود، قد يمنح الفرد فرصة للتأمل العميق أو يكشف له عن شعور بالانفصال وعدم الانسجام مع الآخرين.

ومما تقدم يتضح أنّ مفهوم العزلة يصبّ في الاتجاه ذاته في جميع التعريفات المذكورة سابقًا، ويتمثّل في الانقطاع، والابتعاد، والنوى، والانكفاء، والفجوة الداخلية، والتنحي، وعدم المخالطة، والاكتفاء بالنفس عن العالم الخارجي.

فالعزلة حالة شعور الفرد بالانعزال عن الآخرين، وعدم الرغبة في التفاعل، والابتعاد عن النشاطات الاجتماعية، والتفاعل مع الآخرين، وتحدث العزلة مؤقتًا، أو دائمًا، والعزلة: تكون شعورًا نفسيًا أكثر منه مكانيًا، وذلك بأن يعتزل فيه الفرد الآخرين، سواء فكريًا، أو نفسيًا، أو جسديًا.

كما يتقاطع مفهوم العزلة مع مفهوم الاغتراب، فكلتاهما تعكس حالة انفصال، لكن على مستويات مختلفة؛ فالعزلة تمثل الانسحاب أو الانفصال الداخلي الذي يعيشه الفرد تجاه محيطه أو تجاه ذاته، بينما يشير الاغتراب إلى شعور أعمق بالبعد عن الذات أو المجتمع، وعندما تتلاقى العزلة مع الاغتراب في النص الأدبي تتحول التجربة الفردية إلى مساحة فنية تكشف الصراعات النفسية والوجودية للشخصية، وتتيح للقارئ التفاعل مع حالة الانفصال والتأمل في معنى الوجود، وبذلك سيصبح الأدب وسيلة لفهم كيف تؤثر العزلة على التجربة الإنسانية، وكيف تتحول إلى أغراض سردية تحمل أبعادًا نفسية وفلسفية.

وتتولد العزلة عن بواعث متعددة؛ فقد تنشأ نتيجة ضغط نفسي أو تجربة تؤثر في توازن الإنسان، كما قد يكون سببها ظروف اجتماعية تفرض على الفرد الانسحاب أو الانكفاء، سواء بسبب الأعراف أو التوقعات والأدوار التي لا يستطيع تلبية متطلباتها، وفي حالات أخرى تأتي العزلة نتيجة عوامل قسرية تجبر الفرد على الانعزال: مثل المرض أو الفقد أو الرفض الاجتماعي أو الظروف الاقتصادية القاسية، وقد تأتي في بعض الأحايين تعبيرًا عن حاجة داخلية لإعادة ترتيب الأفكار واستعادة السيطرة على الذات. وتتشكل هذه التجربة داخل سياقات متنوعة؛ فالسياق الأسري والمجتمعي يسهم في تشكيل العزلة عندما يضع الفرد في موقع هامشي أو يقيّده بضوابط تحد من مشاركته وانسجامه مع المجتمع.

كما يخلق المرض الطويل أو الانقطاع عن العالم الخارجي سياقًا خاصًا تتداخل فيه العزلة الجسدية مع العزلة النفسية، فضلًا عن المحيط الثقافي الذي يسهم في تجلي هذا الشعور من خلال القيم والتوقعات التي تحدد مكانة الفرد ودرجة حضوره في المجال الاجتماعي.

وتنعكس العزلة بوضوح في الأدب، إذ تمارس تأثيرًا عميقًا في بناء الحكاية، حيث إنها تمنح السرد منظورًا داخليًا يكشف ما تعيشه الشخصية من صراع وتأمل، وتتيح للنص التعبير عن حالات الانفصال والبحث وإعادة فهم الذات. ومن هنا تتحول العزلة إلى أداه فنية تبرز العمق النفسي، فالعزلة في الأدب ليست وضعا تمر به الشخصيات، بل إطار يعيد تشكيل المعنى ويمنح النص قدرة أكبر على قراءة التجربة الإنسانية من زوايا متعددة.

"ولا تعني العزلة في إطلاقها مشكلة نفسية، فعيش الإنسان بمفرده لا يعني دائمًا المعاناة من الانعزال النفسي، فهناك الكثير من الناس يعيشون بعيدًا عن غيرهم، ولا يعانون من شعور الانعزال، فغياب الآخرين ليس حالة سلبية في الغالب، وعلى الصعيد الآخر؛ فإن وجود الفرد بين الناس لا يعني في كل الأحوال التواصل والعلاقات الحميمة؛ فقد يعاني الفرد من العزلة، وهو بين أهله وأقاربه" (البقمي، 2022، ص 268)، وتجدر الإشارة -هنا- إلى أنّ حياة الإنسان بمعزل عن الآخرين -غالبًا- ما تؤدي إلى الاضطرابات النفسية؛ لأن الإنسان كائن اجتماعيّ بطبعه.

وتوجد عزلة صحية، وأخرى مرضية؛ فالصّحية هي التي تعطي الفرد قدرًا من الحرية التي تطوّر الذات، وتوفير وقت للتأمل. والعزلة، أو الانفراد بالذات لا يعني بالضرورة أن يكون خلف الجدران، وليس كلّ سفر، أو ترحال، أو عدم مواجهة مشكلة ما يعدّ عزلة؛ فممشاك المفضّل -وحدك- عزلة، وجلوسك أمام البحر -وحدك- عزلة، وجلوسك -وحدك- على أطراف الكافتيريا تحتسي القهوة عزلة، وكل اللحظات التي تمكّن الفرد من نفسه، وأفكاره هي العزلة المنوطة (هيبة، 2020، ص 39).

أما العزلة المرضيّة؛ فهي التي تؤدّي إلى الإصابة بأمراض، مثل: القلق، والأوهام، والاكتئاب، واضطرابات الشخصية الانعزالية. والعزلة المذمومة هي التي تأخذ بالفرد إلى اليأس الصامت (هيبة، 2020، ص 40، 41)، "وهي مرادفة للجحيم والعدم، ولا يمكن تصورها إلا عن طريق السلب" (بردیائف، 1982، ص 117)، ومفهوم العزلة في النهاية يلتبس بكثير من الأسماء التي تجعل الفرد غير متواصل مع المجتمع، منفردًا بنفسه عن الآخرين، متخذًا من العزلة جدارًا أخيرًا، يلتقي فيه الفرد بذاته؛ ولذلك أسباب كثيرة، منها: السجن، أو الإقصاء، أو التوحد، أو النفي، أو المرض، أو الفقد، وغيرها (السويكت، 2017، ص 3).

كما تتجلى العزلة بوصفها تجربة إنسانية تتراوح بين الاختيار والإجبار، فهي أحيانًا فعل واعٍ يختاره الفرد بنفسه للهروب من ضغوط الحياة أو لمراجعة ذاته، وإعادة ترتيب أفكاره، فتمنحه مساحة من الهدوء للتأمل والنمو الشخصي، وأحيانًا أخرى تكون إجبارية، إذ يفرضها الواقع أو المجتمع على الشخص، سواء بسبب ظروف صحية، أو عقوبات قانونية، أو حتى نتيجة تهميش من المجتمع أو رفض، وفي هذه الحالة تتحول العزلة إلى تجربة تتداخل فيها الأبعاد النفسية والاجتماعية، إذ يجد الفرد نفسه مضطرًا لمواجهة ذاته والآخرين تحت ضغط الظروف المحيطة به، ما يجعل تأثيرها مختلفًا عن العزلة الاختيارية التي يمنحها الفرد نفسه بحرية.

ويتضح مما سبق؛ أن العزلة حالة شعورية، أو نفسية مؤلمة للفرد، تنتج عن عدم إشباع الحاجة إلى الألفة، والارتباط الوثيق بالآخرين، والافتقار إلى التكافل الاجتماعيّ، وإقامة العلاقات الوثيقة معهم؛ لأن العلاقات الاجتماعية في ظل العزلة تتسم بالفتور مع الشعور باليأس، والخوف، والنبذ، ويشعر الفرد المنعزل أنه بعيد عن الآخرين، وأنهم لا يتفاعلون معه، ولا يشبعون له حاجاته الاجتماعية، والنفسية المختلفة (الرواجفة، والرفوع، 2007، ص 17).

وتجدر الإشارة إلى أن هذا البحث سيتناول العزلة من زاوية أثرها في تشكيل الحكاية، بوصفها عنصرًا مؤثرًا في بناء الرواية.

ثانيًا: أثر العزلة على الحكاية

الحكاية هي "أحد مقومات القصة؛ إذ يمثّل مضمونها القصصي الذي تؤديه الأحداث القائمة على التتابع، واقعية كانت، أو متخيلة، وتنهض بهذه الأحداث شخصيات في زمان ومكان معينين"(مجموعة من المؤلفين، 2010، ص 148).

1- الشخصية

تُعرف الشخصية بأنها كل مشارك في أحداث الحكاية، سواء بدور إيجابيّ، أو سلبي، وأمّا من لا يشارك في الأحداث فلا يوصف ضمن الشخصيات، بل يكون جزءًا من الوصف، فالشخصية تتميز بأنها مكوّن مبتكر ومصمم: كبقية عناصر الحكاية، وتتكون الشخصية من مجموعة الأوصاف التي ترسم ملامحها وتطور أفعالها، وتنقل أفكارها وأقوالها (زيتوني، 2002، ص 114؛ اليزيدي، 2018؛ الغيثي، 2018).

الشخصية المقهورة:

يتجلى هذا النوع من الشخصيات في شخصية (أحلام) بطلة رواية "أنثى العنكبوت" التي عانت ظروفًا قاسية أثرت في مسار حياتها النفسية، والاجتماعية، فالعنف الذي تعرضت له من والدها، وتجبّره وقسوته، كان له أثرٌ عميقٌ في تشظّي شخصيتها السوية، بوصف العنف ممارسة من ذات على أخرى قولا أو فعلا (واصل، 2025؛ ثابت، 2018).

فالرواية تتميز بأنها رواية نفسية واجتماعية بامتياز، فقد صوّر السارد طبيعة البيئة القامعة المتسلطة، وتأثير ذلك في إحداث تشتت الأسرة، وتسرب القهر والخوف في نفوس الشخصيات، فهذه البيئة خالية من التقدير وزرع الثقة، بيئة مكتظة بالإهانات والعدوانية، فالرواية تناقش القهر النفسيّ، والاجتماعيّ، والمعاملة القاسية، وطريقة تعامل الشخصية الرئيسة (أحلام) معها.

فهي لم تكن تستطيع الحصول على حقوقها، وإن حصلت عليها فبصعوبة بالغة، وتدخلات خارجية: "فوجئت بتدخل زوجة أبي ... تدخلت لصالحي ووقفت تطالب بحقي في العمل"(العليان، 2000، ص 20)، وحريتها مسلوبة في اختياراتها وقراراتها، وفي إبداء الرأي، وقوانين والدها الصارمة أحدثت فيها عُقدًا نفسية، فتشعر أنه لا حقّ لها في جميع شؤون حياتها، وكل ما يجب عليها هو القبول والرضوخ له، ونتاج ذلك هو القهر، وكبت المشاعر والانفعالات.

وعدوانية والدها، وصرامته أسهمت في قمع شخصيتها، وجمودها، وإخفاء مشاعرها، فبقاؤه معهم لا يشكّل لها ولأسرتها إلا القلق والخوف، فعزلة المشاعر، وكبتها الدائم أثّر في انفعالات (أحلام)، وتكونت شخصية مقهورة ناقمة على جميع الرجال: "إنه لا أمان مع رجل كائنًا من كان، بدءًا بأبي، وانتهاء بأيّ رجل على وجه البسيطة" (العليان، 2000، ص 14).

فالشخصية المقهورة لا تشعر بمكانتها، ولا تعبّر عمّا يجول في داخلها، وهي تُرغَم على التبعيّة، والرضوخ، والاستسلام، بل يجب عليها تعظيم الشخص المتسلط، وتنفيذ أوامره، وعند التعمق في ذلك الأمر؛ يتبيّن أنّ كل ذلك يحدث لأسباب قسرية، تجبر المقهور عليها؛ رغبةً في التخلص من الشرّ، والأذى، والنجاة بالنفس، وهذا ما حدث مع (أحلام)، فقد تعاملت مع والدها بتلك الطرائق، وبدأت في الانصياع لرغباته التعسفية، وتنفيذها، على الرغم من كل النضال الذي بذلته؛ لتحقيق رغباتها وكيانها، إلا أنها في نهاية الأمر لم تتمكن من مقاومة تسلّطه فاستسلمت، ورضخت له، ليس طاعة ومحبة له، بل خوفا منه، واتّقاء لشرّه (حجازي، 2005، ص 39).

والضغوط النفسية البالغة لا بد أن تظهر في يوم من الأيام، سواء أكانت على هيئة مرض نفسيّ، أم مرض جسديّ، أم وسيلة أخرى، وقد ظهر الضغط والقهر النفسي (لأحلام) عن طريق تفريغ نوبات الغضب والكبت في صورة صراخ وانتقام وقسوة، فعند مرض والدها لم تأخذها به شفقة ولا رحمة، وتبيّن أن ضعفه ومرضه فرصة في الانفجار النفسي، وإبادة القهر والخوف الذي عاش بداخلها سنوات عديدة: "لن تموت قبل أن تتجرع كؤوس الندم، والألم على أنانيتك وظلمك" (العليان، 2000، ص 112).

إضافة إلى ذلك؛ فقد انتهت الرواية بارتكابها جريمة قتل بشعة ضد زوجها، وبقتله انتقمت لنفسها كما تزعم، وتخلصت من والدها وجبروته، فالقهر المخبأ داخلها ظهر بطريقة عنيفة، وفي موقف لا يتطلب كل ذلك الانفعال، ولكن لديها قناعة كبيرة أنّ كلّ الرجال ظالمون: كوالدها: "نسيت نفسي، وخرج المارد الحبيس داخلي؛ ليعلن عن انتهاء فترة صمته" (العليان، 2000، ص 195)؛ فالضغط والقهر يولّدان الانفجار، وهذا هو الذي حدث مع أحلام؛ فالقهر الذي تصفه بالمارد ينتظر شرارة فقط؛ لكي يبدأ في التدمير، فلم يمكث بداخلها طويلًا، وظهر في أضعف المواقف وكأنها مغيَّبة عن الوعي.

وللعزلة -بطبيعة الحال- آثار في الشخصية المقهورة تجلّت في الأثر النفسيّ، والاجتماعيّ.

فالأثر النفسيّ: تمحور حول هشاشة (أحلام) النفسية، واضطرابها، وسرعة تأثرها العاطفي، كذلك من الآثار النفسية: الخوف والهلع الذي يرافقها أينما ذهبت، وشعورها بأنّ والدها يحاصرها في كل وقت، وإحساس الذنب تجاه أي فعل تقوم به خارج المنزل حتى لو كان فعلًا مباحًا: "خفقان يتسلل إلى قلبي حتى خِلْتُ أنه سينفجر داخل ضلوعي...النبضات تتسارع في جسدي كله.. يداي.. قدماي.. أسفل عنقي ورأسي" (العليان، 2000، ص 36).

ومن الآثار النفسية حديثها مع ذاتها (المنولوج الداخلي) (زيتوني، 2002، ص 163)، والبوح بما تشعر به داخل ذاتها، ومعاتبة والدها بطريقة صامتة وبشكل مستمر: "هل أنت مستريح الضمير يا أبي...هل تنام دون أن يقض مضجعك عذاب الضمير ونداء الأبوة الساكن في قلب كل أب طبيعي يحس ويشعر؟" (العليان، 2000، ص 37)، فهي لن تجرؤ على مواجهته، والوقوف أمامه؛ لذلك اتجهت للحديث والاعتراف بينها وبين نفسها، وشعرت أنّ هذه الطريقة تخفف من قهرها، وكبتها، فتحكي ما تريد، وبالطريقة التي تفضّلها دون حساب، ولا قيود.

أما الأثر الاجتماعيّ فيظهر في صنعها لحياة أسرية مترابطة خارج نطاق أسرتها التي زرعت فيها التقييد، والدونية، فوجدت الأمان والسكينة في مكان عملها، وفي منزل أمّ طالبتها (وضحى) التي عوّضت نقصها، وفقدها؛ فأشعرتها بالمحبة والاهتمام، واحتوتْها في منزلها الذي يقع بجانب مكان عملها، فكانت تزورها دائمًا: "ضمتني أم وضحى إلى صدرها وهي لا تنفك تواسيني بكلماتها التي تنزل كالبلسم على جراحي" (العليان، 2000، ص 38) فمجتمع (أحلام) الذي نشأت فيه مشحون بالسلبية، والانتقادات اللاذعة ويفتقد للدعم الاجتماعيّ، والتعزيز، فوجدت ذلك في محيط اجتماعي بعيد عن أسرتها، فانقادت له انقيادًا مباشرًا.

الشخصية الصابرة:

ارتبطت صفة الصبر بشخصية (زاهر) في رواية "المغزول"، وجسّدت الشخصية معاناتها مع مرض السكري الذي نتج عنه مضاعفات بالغة، وتعدّ هذه الشخصية مثالًا بارزًا للصبر، ومقاومة الألم النفسيّ قبل الألم الجسديّ، فتصف لنا الرواية الصعوبة، والعقبات التي مرّ بها زاهر، وكيف تغلّب عليها بالصبر والرضا.

قضى أغلب سنواته في سجون المستشفيات، وما إن يستعيد عافيته من المرض؛ حتى يصيبه مرضٌ أشدّ فتكًا، فقد عانى (زاهر) نم مرض السكري الذي رافقه منذ طفولته: "وعرف منذ صباه الأول معنى حبس الإنسان، وتقييده بالوصايا

والمحظورات" (مشري، 2006، ص 53)، فالحبس -هنا- لا يقتصر على مكوثه في المشفى، بل إنه يتسع، ليظهر في حبسه نفسيًّا، ومعنويًّا، فبعد ذلك المرض؛ نَحَتْ حياته منحى آخر، وقاسى العزلة منذ ظهور مرضه، وفقدَ حرّيّته في مأكله، ومشربه، ومكوثه في مكان لا يرغب فيه، وتحمّل مضاعفات المرض الجسيمة، بدءًا بغيبوبة السكري التي يدخل على إثرها المشفى، ويمكث أسابيع، أو شهورا، وإصابته بعد ذلك بفشل كلويّ، قاده لجلسات شبه يومية؛ لتنقية دمه من الشوائب، إضافة إلى السوائل التي تتراكم على صدره، وبطنه، وأطرافه؛ فيشعر بالاختناق، وضيق التنفس، وانتهاءً بمرض الغرغرينا المهلك الذي أصابه في كلتا قدميه، ورغم تلك المآسي إلا أنه لا يزال متمسّكًا بحبل الصبر والرضا؛ فهو يرى أنّ المرض ليس إلا فرصة لتهذيب النفس، وتطهيرها، ويدرك أنّ الأمراض -ولا سيّما المزمنة- تخشى المريض القويّ الذي تمسّك بابتسامته، وحبّه للحياة.

لقد تميّز بقدر كبير من الصبر؛ إذ إنّه لا يتحدث عن مرضه البتة مع زواره حتى ولو اعتصره الألم، وهو بينهم، فالزيارة لديه مختلفة، والحديث له طابع معاكس عما هو عليه مع المرضى الآخرين، حيث يكون مركّزا على الدعاء للمريض ومواساته، وبانتهاء وقت الزيارة يعود (زاهر) ليصارع الألم، ويدخل في برنامجه العلاجي، وينقلب حاله، ويجفّ فمه، وتبدأ أعراض المرض في الظهور: "قبل وقت كان التنفس صافيًا وسهلًا" (مشري، 2006، ص 102)، فهو يتساءل متعجّبًا عن انقلاب حاله ما إن خرج أصدقاؤه وزواره، وهذا يدلّ على أن وجودهم يُنسي (زاهرًا) تعبه، أو يتناساه، فمخالطة الناس له شفاء لأوجاعه، ودونهم يعود لعذابه والآمه، ويدل -ذلك- على أهميه العامل النفسي في تطور حالة المريض.

ومن ينظر في شخصية (زاهر) يلحظ أنّ مشكلته لم تكن مع المرض، فهو -كما ذُكِر سابقًا- متقبّل له، وصابر على مضاعفاته؛ فالصعوبة تكمن في عزلته داخل المشفى، وتعامل الممرضات القاسي معه، فهو في أحايين كثيرة يريد أن يتشاجر معهنّ ويوبّخهنّ، ولكنه يصبر، ويصمت، ويخلق لهنّ الأعذار، وكذلك هربه من المشفى لا يدلّ على سخطه من المرض، وعدم رضاه، بل على حبّه للحرية، وكرهه للتقيّد، وأجواء المستشفيات المليئة بأنين المرضى، وهو لا يستطيع تقديم يد العون والمساعدة لهم، وفي مرضه صبر على وضعه في حجرة باردة فلّينية خالية من دفء العائلة، والأصدقاء، فكلّ شيء داخلها ميّت وجامد، ويعلم أنّ الحياة والانشراح خارج حجرته، ومع ذلك ظلّ متمسّكًا بحبل الأمل والصبر.

وحين يضعف، ويدرك حقيقة مرضه المزمن؛ يبدأ في التخفيف عن نفسه، وإقناعها بالتصالح معه، أو يركّز على أوجاع المرضى، وآلامهم متجاهلًا مرضه، أو متناسيه: "يتألم للآخرين ويعطف عليهم بكامل أسى الشفقة.. ويرفض أن تمنح له بأية صفة من الآخرين!" (مشري، 2006، ص 78) فهو يفعل ذلك؛ ليهرب من واقعه الحقيقيّ، وينشغل بهم، ولا يسمح لنفسه بالتفكير والتعمق في مرضه، ويتحايل عليها بصبّ تركيزه على أوجاع المرضى، مسوّغًا ذلك بأنّ تجاهل المرض، وإهماله إحدى الطرائق الفعالة في العلاج، يكسبه التعود، وتقبل المرض، ولا يعلم أنه بهذه الطريقة يكبت مشاعره، ويعزلها، ولا يسمح لها بالتنفيس؛ لذلك دخل في حالة كآبة وهذيان.

وتركزت آثار العزلة على الشخصية الصابرة في الأثر النفسيّ، والاجتماعيّ، فالأثر النفسيّ يتّضح في أن الشخصية الصابرة تخلّلها حزن داخليّ، وألم نفسيّ عميق، وحنين ملازم إلى أسرته وأصدقائه، وحياته السابقة بجميع تفاصيلها، والصبر نافذة للتأمل والولوج في أعماق النفس، ومعرفة خباياها، فكيف إذا كانت العزلة رفيقة لهذا الصبر؟ و(زاهر) في عزلته تبيّن أنه "يكره القيد ويعشق الحرية، ويفزع من احتجازه رهينة للعلاج في عنابر المشفى" (مشري، 2006، ص 16) فصبره على المرض لم يشكل له عائقًا كبيرًا، ولكن احتجازه بعيدًا عن عزلته مع كتبه وأجوائه التي يفضّلها كانت عليه أشدّ من المرض؛ لذلك تدهورت حالته النفسية، وخضع لتحدٍّ قاسٍ مع واقعه المؤلم، ومع ذاته الصابرة.

وهذا الموقف أنشأ له ضغطًا نفسيًّا مضاعفًا أُدخِل بسببه في حالة من الكآبة والهذيان، واستمرت معه طوال مدّة إقامته في المشفى، وتتجه الحالة للأسوأ كلّما طالت مدة بقائه، إضافة إلى شعور التوتر والقلق الذي يأتيه ويتمكن منه تمكُّنًا مفاجئًا: "ودّ لو يُلقى في الجحيم؛ ليذوب كالهلام، أو يوضع في مفرمة حادة القواطع، خير من المخافة المبهمة التي لا يعلم لها تفسيرًا" (مشري، 2006، ص 62).

الأثر الاجتماعي: أدركت الشخصية الصابرة داخل عزلتها أنّ المجتمع الخارجيّ هو من يصنع اليأس والإحباط للمريض، والآخرون -غالبًا- لا يزيدون المريض بزياراتهم، وأسئلتهم الجارحة إلا خوفًا وسقمًا: "إنهم يدعمون المريض بوافر من الاستعداد للموت والتهيؤ للضعف والاستسلام" (مشري، 2006، ص 72)، فالعزلة المقرونة بالصبر داخل المشفى صنعت للشخصية الصابرة نظرة ثاقبة حول تمييز الآخرين، ونظرتهم للمرضى، فالمريض إذا مال لهم، واقتنع بكلماتهم انجرّ لهم، لا محالة، وأما إذا وضع حاجزًا حصينًا بينه وبين أفكارهم المسمومة، ورفض قبولها فإنه بذلك ينجو بنفسه.

ومن الآثار الاجتماعية التي كوّنتْها العزلة للشخصية الصابرة: شعوره بألفة ومحبة تجاه الجميع، لم يكن يعرفها قبل المرض، وكل ذلك؛ ليتجنب إحساسه بالوحدة؛ إذ لم يبق له داخل أسوار حجرته إلا ذاكرته التي تؤنسه باسترجاع الذكريات، والمواقف القديمة.

2- المكان

المكان هو الوعاء الذي يضمّ مجموعة من الظواهر، والأشكال المتجانسة، وما يقوم بينها من علاقات مألوفة: كالاتصال والمسافة، وهو أحد أهمّ العناصر السردية الأدبية التي تسهم في تكوين الأحداث والشخصيات (جنداري، 2013، ص 199).

يقول غاستون باشلار: معلّقًا على أهمية المكان: "إنّ العمل الأدبي حين يفتقد المكانية فهو يفتقد خصوصيته وبالتالي أصالته" (باشلار، 1984، ص 5) فدون مكان لن توجد أحداث، ولا شخصيات، ولن تكتمل العناصر، وستسير في عشوائية.

المكان المفتوح:

هو المكان الذي يسمح للشخصيات بالحركة، والانتقال في مساحات واسعة دون حواجز، مثل المدن والقرى والأحياء السكنية، والطرقات والشوارع، والمحالّ والمقاهي، وكل مكان خارج حدود الإقامة الثابتة (بحراوي، 1990، ص 40).

أ- المدينة:

في رواية "في ديسمبر تنتهي كل الأحلام"؛ جاءت المدينة (الرياض) بوصفها مكانًا محمّلًا بالخيبات والفقد دون التطرّق لأيّ أمر يدل على ملمح من ملامحها، فكل ما ذكر عن (الرياض) في الرواية هو أنّ (هذام) جُرح، وخاب أمله فيها؛ إذ إنّ (الرياض) أصبحت تشكل في ذهن (هذام) ذكرى موجعة، ففي ذلك المكان خُذل من أسرته؛ لرفضهم ارتباطه من (ليلى) التي لم تكن تتناسب معهم من جميع الجوانب، فهي من جنسية أخرى، وتحمل عادات وتقاليد مغايرة عن عاداتهم، وعلى الرغم من محاولاته المتكررة في إقناع أسرته بالارتباط بها إلا أنه في نهاية الأمر خرج عن رأيهم، واختارها، وتخلّى عن أهله: "تخلّيت عن كل ما يربطني بعائلتي التي توحّشت.. توحّشت جدًّا عليّ!.. لكن هذا لم يشفع لي عند عائلتها.. لم يقبل والدها بأن يضع ابنته في هذا الجحيم"(النشمي، 2011، ص 44).

فبعد ذلك الحدث؛ خسر أهله، وحبيبته في آن واحد، وشعر برغبة جامحة في التخلي عن مدينة (الرياض)، فلم يعد ذلك المكان صالحًا للعيش، ولن يخسر أكثر من تلك الخسائر الفادحة: "لم أكن لأقبل بأن أكمل حياتي في تلك الأرض التي أعرف اليوم بأنها لم تحبني يوما" (النشمي، 2011، ص 58)؛ فجسّدت العزلة المكان، وجعلته مكانًا طاردًا له، وفاقدًا لانتمائه

فيه؛ إذ إنّ العزلة حوّلت المكان المفتوح الواقعي إلى مكان مغلق ومنفِّر، فالإنسان ونفسيته ونظرته للمكان ذات صلة أساسية بتغيير طبيعة المكان؛ فالمكان بطبيعة الحال يُعدّ منبعًا لجميع الأفكار والمشاعر التي تشكل علاقة تبادلية يؤثر كل طرف فيها في الآخر (بحراوي، 1990، ص 31).

لقد تغيّر المكان (الرياض) بعد تلك الحادثة، فلم يعد يحمل في باطنه إلا الضيق، والطرد، والذكريات المؤلمة، فاختار الذهاب إلى (لندن) التي أصبحت مدينة حاضنة له ولهمومه، تاركًا خلفه أسرته، ومجده، ومنصبه الوظيفي، وفضّل البدء من جديد في (لندن) كاتبًا مغمورًا، فأصبحت (لندن) مدينة البدايات السعيدة التي احتوته، ومكان راحته، ونسيان همومه، ومكانًا مفتوحًا ومشرعًا -كما يزعم- لكن عند العودة لتفاصيل حياته فيها يلحظ أنّ هذا المكان لم يزده إلا تخبّطًا وضياعًا، فقد جاء المكان المفتوح (لندن) مليئًا بذاكرة، لا تهدأ.

فمنذ لحظة مغادرته قبل عقدين من الزمن لا يزال يتخيل الماضي بجميع تفاصيله، ويعيش فيه: "شعرت أنني لا أزال أقف في المكان ذاته الذي وقفت فيه عندما وصلت إلى لندن قبل عقدين من الزمن، شعرت أنني لم أتزحزح من مكاني قيد أنملة" (النشمي، 2011، ص 169) فأيقن في وقت متأخر أنّ قرار هربه من مكانه (الرياض) خطيئة كبرى، وأمر عاطفيّ خارج من حدود العقلانية، فعزلته خارج البلاد ضيّقت عليه الحصار، وجعلته يدرك أنّ الماضي مترسّب في ذاته: "ساعاتي الحالكة تطول وتطول.. وفجري الذي أنتظره لا يزال بعيدًا.. فلا الظلمة خفت، ولا بصيص النور لاح" (النشمي، 2011، ص 142)؛ فأثّرت العزلة في مكانه (وطنه)، فجعلته يتحول من المكان الواقعي المفتوح إلى مكان مغلق؛ لذلك فرّ منه؛ رغبة في صنع حياة أكثر حميمية، واتّجه إلى (لندن) التي أصبحت أشدّ إغلاقًا، ومحاصرة بذكريات الماضي وخيباته.

ب- الصحراء

شاركت الصحراء في رواية "فخاخ الرائحة" في البطولة بحضورها المؤثر، وفاعليتها في تشكيل سير الأحداث، وتوجيهها، ففي هذه الرواية تحوّلت الصحراء من كونها عنصرًا مكانيًّا مفتوحًا إلى عنصر مهمّ في التأثير في الشخصية، والتأثر بها، فعندما كان (طراد) وحيدًا في الصحراء، شعر بحاجة إلى رفيق، يشاركه عزلته الطويلة، فلم يجد إلا الصحراء، وكائناتها الحية، فأثرت عزلته في المكان؛ إذ إنه سخّر كل كائنات الصحراء لمصالحه الخاصة، ولخدمته: "الرمل استحال له فراشًا. الكثيب والتل والنفود عرفته جيّدًا، كما فتحت له الدحول صدورها، واحتوته، أسقته الوديان والشعبان وغسلت جسده...ظللته أشجار الطلح والعوشز والسدر. أدفأته جذوع الغضا والسمر بنارها وجذوتها في ليل الصحراء البارد، حتى الذئاب...كأنما كانت تقف تحرسه من عوارض ووحوش وزواحف الصحراء، كأنما تحرسه حتى من البشر" (المحيميد، 2003، ص 86).

فكانت العلاقة بين الصحراء بما تحوي، وبين (طراد) في بداية الأمر علاقة منفعة وخضوع، ولكن هذه العلاقة المكانيّة تبدلت بمجرد أن التقى (طراد) برفيقه (نهار) الذي اكتفى به عن المكان، وأصبح يرافقه، ويجالسه طوال وقته، فتحوّل المكان من خاضع إلى ناقم، فأثرت العزلة في المكان من جانبين، الأول: في (عزلة طراد) تسخير المكان لإشباع حاجاته النفسية التي يفتقدها في الصحراء، واستطاع إشباعها، والآخر: (بعد التقائه بصديقه نهار)؛ تحول المكان إلى مكان دخيل، وبدأ (طراد) في السخرية منه، ومن كائناته، وقتل الذئاب التي كانت تسليه في عزلته، بمجرد حصوله على مصدر آخر يملأ فراغه.

فعندما دفن (طراد) وصديقه في الرمل تذكّر سخريته من الصحراء وكائناتها، وأيقن أنّ تلك الكائنات حان لها الوقت؛ لتنتقم منه، فالكائنات تجسّدت في صورة إنسان يحقد، ويستهزئ، وينتقم، ويسخط: "الرمل الذي انتقم لكرامته وجثم بثقله فوق جسد طراد، حاصره من كل ناحية حتى لم يستطع حراكًا. شجيرات الشفلح تتمدد بكبرياء، وهي تتثاءب ساخطة على طراد الخائن للشجر وللشعبان وللخباري وللفياض وللذئاب" (المحيميد، 2003، ص 87).

فالمكان بما يحوي من شجيرات ورمال ورياح أصبح مكانًا مرعبًا معاديًا، وكأن تلك الكائنات جيوش، تريد الانتقام، فشجيرات الشفلّح كان في وسعها مساعدة (طراد)، وحمايته بتغطيته بأوراقها، وإخفائه عن الذئاب الشرسة، وكذلك الرمل بإمكانه أن يزيح جزيئاته عن جسده المدفون، ويساعده في الخروج والنجاة بنفسه، حتى الرياح لديها القدرة على إخفاء رائحته عن الذئاب المفترسة، والذئاب -أيضًا- قادرة على حراسته مثلما فعلت سابقًا، لكن كل ذلك لم يحدث فجميع المخلوقات تخلت عنه آنذاك، وانتقمت منه: "فكل شيء في الصحراء مخيف وقاسٍ؛ إذ على الرغم من تعدد اللوحات التي تضفيها الطبيعة على الصحراء، فإنها قد بدأت -هنا- لوحة واحدة، لا تحمل إلا القسوة والبشاعة والخوف" (الحازمي، 2006، ص 313)، خاصة بعد فقدانه لأذنه في حرب ضروس مع الذئب، وهو مدفون في الصحراء، فإنه أيقن أنْ لا مكان له، "ففرّ من الصحراء كلها، ومن الفياض والخباري التي أحبها، والشجر والدحول التي آوته وأحبته" (المحيميد، 2003، ص 117)، فالعزلة أثّرت في المكان المفتوح (الصحراء)، وجعلته مكانًا ضيّقًا معتمًا وزاخرًا بالعداوات والانتقام، وآلت العلاقة بينهما إلى علاقة عدائية؛ لخيانته، وتخليه عن المكان.

المكان المغلق:

وهو المكان الذي يتصف بمساحة محصورة ومحدودة، وبحواجز، وموانع، تمنع الوصول للعالم الخارجيّ: كالبيوت والسجن، وغيرها.

أ- البيت

يقول غاستون باشلار: "إنّ البيت القديم، بيت الطفولة، هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال. وعندما نبتعد عنه نظلّ -دائمًا- نستعيد ذكراه، ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية ذلك الإحساس بالحماية والأمن اللذين كان يوفرهما لنا البيت" (عبيدي، 2011، ص 9)؛ فالبيت عنده هو مصدر الأمان والألفة، وهو الذي يتيح للإنسان أن يحلم، ويفكر بهدوء، ودون البيت يصبح الإنسان كائنًا مهمّشًا، فهو عالم الإنسان الذي عرفه أوّلًا، وسيعيش معه طوال حياته بذكرياته، وأحلامه، ويمثل البيت خلجات الإنسان الخفيّة، ومشاعره النفسية؛ إذ تتّخذ الأبعاد الهندسيّة للمكان صبغة شخصيّة، وتخيّليّة، فيتحول المكان من جماد إلى ألفة وأُنس، وعندما ينأى الإنسان عنه يبقى راسخًا في ذهنه، ويحنّ للعودة إليه باستمرار (عبيدي، 2011، ص 37، 38).

وفي رواية "عيون قذرة" ينحو البيت منحنى آخر؛ إذ إنه يختلف -جذريًّا- عمّا ذُكر سابقًا، فقد شكّل في نفس (سارة) وأخيها الرعب، والقلق، والخوف، فكانا ينامان على صراخ ودموع، ويستيقظان على ضرب ونحيب: "لم يدركا أنّ المودة والرحمة تسكنان بيوت الغير عدا بيتهما، لم يعرفا من الحياة غير جانبها المؤلم" (العليان، 2005، ص 9) ، فهذا البيت كما يسمّيه (باشلار) بيت الطفولة، لم يكن فيه إلا العذاب والذكريات الجارحة، فقد شهد هذا المكان حادثة طلاق والديهما أمام ناظريهما، وهذا الحدث لن يمحى من مخيلتهما طوال حياتهما، وبعد الطلاق تشتّتت الأسرة والأطفال، فكل "أسبوعين أو على الأكثر شهر أحمل حقيبتي الصغيرة وبضع ثيابي وزينتي وكل كتبي وأتنقل بين ثلاثة بيوت لا يتحملني أي منها أكثر من شهر... ما إن أعتاد على السرير وأتواءم مع اللحاف، وتحتضن الوسادة دموعي الغزيرة، وتردد الجدران دعائي وبكائي وزفراتي الحيرى كل ليلة، ما إن تألفني وألفها وتطمئن لها نفسي الكسيرة وأتمنى لو استمر، لكن لا تلبث أن تتلبد الأجواء بالغيوم، وتأذن السماء بالمطر، وأعي أنّني وحيدة بلا سند" (العليان، 2005، ص 17).

فيتبين مدى تأثير الشخصية المنعزلة (سارة) على المكان فقد أثرت عزلتها على البيت؛ إذ إنه أصبح يحسّ بها وبآلامها وبعزلتها، فالجدران المغلقة أصبحت في نظر (سارة) الملاذ الآمن الذي تهرب إليه، وتبثّ له شكواها، وآلامها، ولشدة التآلف

والانسجام بينهما، ودّت لو تستمرّ في مكانها الأليف الذي احتضنها في أقسى مراحل حياتها، ولكن المكان مع مرور الأيام سرعان ما تخلى عنها أيضًا كما تخلّت عنها أسرتها، فبقيتْ وحيدة، تائهة، تخلّى عنها حتى المكان الذي أصبح يحمل -من وجهة نظرها الخاصة- صفات القسوة والتخلي والقلق التي تتوافق مع شخصيتها، وضياعها، وحيرتها، لذلك فالمكان لم يعد يقبلها، ويضيق بوجودها.

فالمكان بطبيعة الحال له "تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تقيم فيه...وأن لا شيء في البيت يمكنه أن يكون ذا دلالة من دون ربطه بالإنسان الذي يعيش فيه" (بحراوي، 1990، ص 44)، ومما سبق؛ يتّضح أنّ عنصر البيت يدلّ على معنيين متناقضين، المعنى الأول يرمز إلى الألفة، والراحة، والملجأ الآمن الذي يلجأ إليه الإنسان وقت حاجته، والمعنى الآخر يدلّ على العذاب، والتعاسة التي مرت بهما بطلة الرواية (مشلق، 2016، ص 32).

ب- السجن

يعدّ السجن من الأمكنة التي تسلب حرية الإنسان، وتُقيّدها، فما إن يلج السجين هذا المكان حتى يفقد عالم الحرية، ويبدأ في تجرع العذاب، والحرمان الذي لن ينتهي إلا بالإفراج عنه، وما إن يدخله حتى يبدأ في تلقي الإذلال، والتهميش، وتجريده من هويته الأساسية، والاستبدال باسمه رقمًا يجعله في عداد النكرات، ويتغير هندامه ببذلة سجنيّة موحّدة، وتُسلَب منه مقتنياته الشخصية، وكل ذلك؛ لكي يجردوه من خصوصيته، ويسلبون هُويته، ويتحول إلى نسخة مكررة عن نزلاء السجون (بحراوي، 1990، ص 55، 56؛ واصل، 2025)، لم يعدْ بوسع نزلاء السجون إلّا تمنّي الموت بأيّ طريقة "أن تموت بأيّ طريقة لهو أعلى شأنًا وأرحم من أن تنتظر الموت ولا يجيء" (سليمان، 2014، ص 105).

وفي رواية "طيور العتمة" حضر السجن حضورًا جليًّا؛ إذ لم تبتعدْ أحداث الرواية عن قضبانه، بل إنّ أحداث الرواية بجميع تفاصيلها من بدايتها إلى نهايتها كانت في السجن، فقد تفنّن السارد في وصف المكان: "سجنُ رفيع السقف، يدلف منه ماء ملوث، ألحق الرطوبة بأرضيته المسوّاة من الإسمنت، والحديد العريض"(سليمان، 2014، ص 14).

في السجن فقدّ (برهان) الحياة الاعتيادية، وتوازنها، وهذا الاختلال أثّر فيه، وازدادت مأساته؛ فالمكان متّسخ ملوّث، إضافة إلى ضيقه، وعشوائيّته، فضلًا عن العذاب الذي يتجرّعه والإهانات المستمرة، فكلّ وسائل الحياة الضرورية معدومة في هذا السجن، فالضوء الذي اعتاد رؤيته كل يوم، لم يعدْ يراه أسابيع وشهورًا طويلة، فنافذة الزنزانة التي يمكث فيها مغطاة بخرسانة ثقيلة، تمنع وصول الهواء والضوء، "فالكائن البشري إن أخلّ بنظام حياته، ولم يصبح موزعًا بين الضوء والظلمة، أصبح كائنًا بنفس مضطربة، وحيًّا بروح قلقة، وتكوين يشوبه خلل في توزيع نسبة الحياتية" (النصير، 2011، ص 84).

لقد أثرت العزلة في المكان، ورموزه، فرمز المفتاح تغير معناه في دهاليز السجن؛ فحركة المفاتيح ترسّخت في أذهان المساجين أنها دلالة، تحمل معنى ترقب شرّ قادم: "صوت انزلاق المفتاح الأسود ذي السِّنَّين الطويلتين في ترباس الباب يبعث الرعب تحت جلودنا المتسخة"(سليمان، 2014، ص 14)، فهذه المفاتيح التي تمثّل الأمان الشخصي في حياة البشر الطبيعيّة اختلف معناها في السجن؛ لتدلّ على الرعب، والخوف، والإذلال، والحرمان من الحرية "إن المفتاح هو عنوان السجن إذن، فكل حركة له هي نوع من العقاب ذاتها يعاني منها النزيل فيما تعمق شعوره بفقدان الحرية"(بحراوي، 1990، ص 58).

كذلك رمز الحائط تغيّر معناه في السجن؛ إذ إنّه تخلّى عن معنى الأمان والحماية، وأصبح مكانًا، يبثّ فيه السجين كتاباته، ومناجاته، وعباراته المكسوّة بالقهر والضياع التي تشكّل للسجناء فيما بعد متنفّسًا، ولوحة باهرة، يُسلُّون فيها أنفسهم "السطور المحفورة على الحائط ظلت محطة نراقبها حتى بدت لنا لوحة المكان وزينته" (سليمان، 2014، ص 61).

إضافة إلى رمز خطوات الأقدام، أو قرع كعوب السجانين التي تمثل للمساجين معنى التعذيب النفسيّ، والجسديّ، واقتراب الموت، فقد أجبرتهم القسوة على الاعتياد على "قسوة هذا المكان الأخرس" (سليمان، 2014، ص 109) حتى علقت بهم روائح السجون، فلم يعد بإمكانهم إلا الحديث بمفردات السجون.

وأيضًا رمز الظلام الذي تماهى مع المساجين، وألفوه؛ حتى تهيّأ لهم في صورة صديق مخلص، يحتضنهم، ويخفف عنهم عناء العذاب والحرمان، ففضّلوه على النور، بل تمنّى (برهان) أن يدفن في الليل: "ألفت الظلام، فالظلام هو الخلق الوحيد الذي أعرفه" (سليمان، 2014، ص 75).

ففي عالم السجون تتغيّر الرموز، والمفاهيم، وتأخذ معاني مغايرة عن المعاني الواقعية التي ألفتْها النفس البشرية، وكلّ ذلك يبيّن مدى اختلاف السجون، وعزلتها عن الواقع المعيش، وأنّ الحياة فيها تتقلّص شيئًا فشيئًا، وأنّ الموت مصير كلّ شخص يدخل هذا السجن، ولكن بطرائق مختلفة، كما حدث مع أصدقاء (برهان) الذين لقوا حتفهم، ووافتْهم المنية بطرائق وحشية، لا إنسانية، ولم يبقَ في السجن إلا (برهان) الذي تحوّل الموت في نظره إلى حلم، يصعب الوصول إليه، فقد تركه السجانون يتعذّب نفسيًّا، وجسديًّا داخل السجن؛ لكي يموت موتة طبيعيّة كما يزعمون.

فأثرت العزلة في المكان (السجن)، وجعلتْه صامتًا جامدًا رغم اكتظاظه بأصوات العنف، والصراخ، والضيق، والانحصار التي تعبّر عن ضيق نفوس المساجين وظلمتها.

3- الزمن

يمثّل الزمن في الرواية عنصرًا فنّيًّا محوريًّا في تشكيل البنية الروائية؛ إذ إنّ الزمن يسهم في ربط الأحداث، وتحديد إيقاع السرد، ورسم أبعاد الشخصيات، إضافة إلى تأثيره في عناصر السرد الأخرى، وتأثره بها، فالزمن بسرعته وتباطئه، وثقله، وخفته يعدّ الإيقاع النابض الحركيّ في الرواية (القصراوي، 2002، ص 34).

والزمن الواقعيّ هو الزمن الطبيعيّ الفيزيائيّ الذي يدركه الجميع، ويرتبط بالمدركات المحسوسة، أمّا الزمن الذي يرتبط بالشخصية، وبإحساسها فستركّز الدراسة على إبرازه، وتسليط الضوء عليه؛ لاكتشاف أعماق الشخصية المنعزلة وهو (الزمن النفسيّ)، إضافة إلى تسليط الضوء على (تيار الوعي).

الزمن النفسي:

والزمن النفسي هو "الذي لا يخضع لمعايير خارجيّة، أو لمقاييس موضوعيّة" (قاسم، 2004، ص 76)، بل يرتبط - ارتباطًا مباشرًا- بالنفس البشرية بكلّ ما تحويه من انفعالات، ومشاعر، ومكنونات داخلية، تسهم في تحديد ذلك الزمن، وتشكّله بطريقة نفسية بحتة. حيث "يستند الزمن النفسي على صدق التجربة، وحرارة المعاناة" (مصاص، 2003، ص 455) فقد يكون في الزمن النفسيّ زمن خاصّ، صنعتْه الانفعالات النفسية المتنوّعة: كالقلق، أو التوتر، أو الحزن، أو الرعب، أو المعاناة وغيرها، فلكل انفعال، أو اضطراب زمن نفسيّ خاصّ بالشخصية، قد يطول، أو يقصر اعتمادًا على رؤية الشخص الخاصة، وطريقة تفاعله معها.

وتعدّ العزلة سببًا مُهمًّا في تبديل الزمن، وتحويله من الزمن الطبيعيّ الفيزيائي إلى الزمن النفسيّ الداخليّ، فالشخص المعزول في حالة انكساره، وتعرّضه لظروف قاسية، يواجه أزمات نفسيّة، تُجبِره على الانكفاء على ذاته، والإمعان في مشاعره السلبية، وبذلك يكون الموضوع النفسيّ هو المتحكّم في سير الزمن الذي قد يطول، أو يقصر بناء على تلك الظروف المتعلقة بالشخصية، فالزمن النفسيّ "مرتبط في الحقيقة بالشخصية لا بالزمن حيث إنّ الذات أخذت محل الصدارة، وفقد الزمن معناه الموضوعيّ، وأصبح منسوجًا في خيوط الحياة النفسية"(قاسم، 2004، ص 77).

وفي رواية "فخاخ الرائحة" يظهر الزمن النفسيّ في موضوع الرعب، فالرعب ومعايشته شكّل الزمن النفسي لدى (طراد)، فتهيأ في زمن رعب نفسيّ، لا تسير دقائقه، وساعاته، بل تظلّ ثابتة، وتمر ببطء شديد، فيصف الزمن الذي قضاه مدفونًا في الصحراء : "بقيت كلّ الليل أتحلحل بجسمي داخل الرمل، أهزّ بمعصميّ وأنا أحاول أن أتخلص من حبل قيّدني به الكلاب،... ليتهم قتلونا بسيوفهم، أو ليتهم أطلقوا علينا النار، وريّحونا من العذاب"(المحيميد، 2003، ص 116)، فيظهر الزمن النفسيّ ثقيلًا، فالليل الذي قضاه في محاولة تخليص جسده من الرمل، لم يمض بسهولة، فقد شعر في ليل الصحراء الموحش بالرعب النفسيّ الذي تمكّن منه منذ رؤيته للذئب الذي هشّم رأس صديقه (نهار).

فالمنظر المرعب لم يبرح من ذاكرته، وظلّ طوال الليل يتجرع الألم، فتمنّى -حينها- أنّ هذا الزمن لم يمرّ عليه، وفضّل الموت عن انتظار مصيره المجهول، وتزايد الرعب عليه باقتراب الذئب منه: "شعر بفروة الذئب الناعمة تلامس عنقه المغمور بالرمل، فتح طراد عينه ببطء وحذر، فرأى رأس الذئب مطروحًا تحت ذقنه مباشرة" (المحيميد، 2003، ص 115)، فالزمن في هذه اللحظة تباطأ أضعافًا مضاعفة عمّا قبل، فلم يعدْ قادرًا على التنفس، أو الالتفات، أو تحريك عينيه، فكلّ حركة يصدرها -ولو كانت يسيرة- ستساعد في إيقاظ الذئب، ولم يعدْ باستطاعته إلا النظر إلى السماء، وهو يدعو الله بأدعية الخوف والرجاء، وينتظر مصيره الذي أوشك على النهاية.

فالزمن لدى (طراد) مرّ بمرحلتين حرجتين؛ لذلك تباطأ الوقت الذي يحكمه زمن الرعب، فالمرحلة الأولى: وهو مدفون في الرمل، ومشاهدة الذئب يلتهم رأس صديقه، والزمن الآخر الذي اتّصف بصعوبة مروره، وشدّة تثاقله: عندما أوشك الذئب على افتراسه، فهذا الوقت المرعب لم ينقطع إلا عندما التهم الذئب أُذن (طراد).

وفي رواية "طيور العتمة" يتجلّى موضوع العذاب من أول الرواية حتى النهاية، فالعذاب في السجن أسهم في انعدام الإحساس بمرور الوقت، فتساوى الزمن لدى السجناء في هذا المكان المظلم؛ إذ "لا شيء يمضي سريعًا في هذا المكان، حتى حركات أعيننا، ورمش أهدابنا غدت بطيئة"(سليمان، 2014، ص 54)، فالوقت في السجن لا يمرّ مرورًا طبيعيًّا، ولا يتحرك، فاستخدامه لجملة "رمش أهدابنا" تبيّن مدى ثقل الوقت، فرمشة العين تمثّل تفصيلًا دقيقًا جدًّا، والوقت فيها لا يقاس؛ لشدة سرعته، ولكن في السجن اختلف الزمن؛ إذ إنّ الوقت تباطأ تباطؤًا مضاعفًا؛ للعذاب المستمرّ الذي تعيش فيه الشخصية المسجونة المنعزلة.

فالزمن الطبعيّ لم يعدْ حاضرًا في فضاء السجن، واستبدل بالزمن النفسيّ الذي تكوّن بناءً على شهور القسوة، والعنف في هذا المكان: "فالوقت -هنا- ظلمات تولج في بعضها، فلا قياس على الوقت إلا بالوجبات الثلاث، بها أُحدد أكان صباحًا أم ظهرًا أم مساءً" (سليمان، 2014، ص 120)؛ فالوقت مجهول في سراديب السجن بفعل النظام الروتينيّ القاسي: "وإذا انعدم الإحساس بالتعاقب، أو التغيير؛ فإن الزمن يمرّ بطيئًا، وتكون الساعات أطول" (مندولا، 1997، ص 140).

والشخصية المنعزلة -أيضًا- ساعد ألمها النفسي في اختلاف معنى الزمن الفيزيائيّ، وجعله زمنًا نفسيًّا، فالعذاب في السجن كان سببًا رئيسًا في فقد الوقت لمعناه، إلى درجة أنّ دورة الزمن اليومية لم تعدْ حاضرة في أذهانهم؛ فالوقت لديهم يظهر في هيئة ظلام مستمرّ دون التمييز بين الليل والنهار، إلا من خلال الوجبات التي تساعدهم في تخمين الوقت، وتوقعه، فالزمن النفسيّ كان سببًا في تشظّي الزمن الواقعيّ، وانطفائه، وكذلك طبيعة المكان القاسي الذي أجبرهم على العيش في ظلام متواصل دون انقطاع: "مضى زمن لم نرَ فيه النور" (سليمان، 2014، ص 109) فالزمن الذي فُقد فيه النور لا يُعرف مداه، وكلُّ ما يعرفونه في السجن هو ثقل الوقت.

وتزداد وطأة الزمن، ويتباطأ الوقت عند التعرض للمواقف العنيفة، والمخيفة التي تشكّلت في عذاب نفسيّ، ومن تلك المواقف: دخول السجانين بأكياس مليئة بالثعابين المختلفة في أحجامها وألوانها، وإلقائها على المساجين، فذلك الموقف زرع الرعب والرهبة في قلوبهم، ومكثوا طوال الليل في مراقبتها؛ حتى "تثاقلت الساعات في المضيّ، وانقلبت الثواني إلى ساعات" (سليمان، 2014، ص 55).

وأما في رواية "المغزول" فالزمن النفسيّ تشكّل؛ بسبب موضوع المعاناة التي تجرّعها (زاهر) في سجون المستشفيات على مدار ربع قرن، فأيامه في المشفى "ليس لها لون أو طعم، أو معنى محدد... وصفها بالفلينية"(مشري، 2006، ص 148) فوصف أيامه بالفلّين الشاحب؛ لأنها خالية من ملذات الحياة، ومن الأنس بوجود الأهل والأصدقاء، ومن مكوثه الطويل وحيدًا في أجواء روتينية قاتلة، فأيامه مثقلة بآلامه النفسية، والجسدية، ومرهقة بالتفكير والقلق، ولا تمرّ مرورًا طبيعيًّا، "فالوقت ثقيل: كصخور جبال القرى الجنوبية التي يعرفها" (مشري، 2006، ص 27)، فالزمن على المريض الذي يشكو من ألمٍ يسير، لا يمضي سريعًا، فكيف بحال الوقت لدى (زاهر) الذي يعاني عدّة أمراض خطيرة مزمنة، رافقته منذ طفولته، فطبيعة الحال أنّ وضعه الصّحي، ومكوثه الطويل في المشفى، ضاعف عليه الوقت مضاعفة كبيرة جدًّا، حتى بدأت له الأيام تتشكّل في سنوات طويلة من المعاناة، واتخذت الثواني لونًا رماديًّا كئيبًا، تصف كآبته ووحشته ومعاناته: "الوقت يتفسّخ بكامل ساعاته الأربع؛ التي تحتشد بالثواني الرصاصية الثقيلة" (مشري، 2006، ص 166).

ويتضاعف الوقت لديه، ويتمدد، ويزيد من معاناته عند قدوم الليل: "ليل طويل ... أطول مما يضيق بالإنسان انتظار نهاية الزمن" (مشري، 2006، ص 172)، إنّ الليل بهدوئه وسكينته يساعد في بثّ الحنين والحزن في نفس المريض، ويتسرّب في نفسه تسرُّبًا قاسيًا، ويعزّز إحساس الوحدة والخوف، لذلك فإن (زاهرًا) يقضي ليله في الصمت والسكون القاتل، وفي ترقب الأخبار المفجعة، وفي محاولة استجداء النوم؛ حتى تمضي تلك الليلة الموحشة المشبعة بالمعاناة والقلق والعزلة، فالزمن لدى (زاهر) اختلف، والسبب الرئيس وراء ذلك هو العزلة التي أفقدت الزمن معناه الموضوعيّ، وأصبح منبعه المعاناة النفسية والجسدية التي تشكّلت في الزمن النفسيّ (قاسم، 2004، ص 77).

وفي رواية "هي راودتني عن نفسي" يتجسّد الزمن النفسيّ لدى (يوسف) في موضوع الترقب والانتظار: "الأيام متكررة ورتيبة، مملة حدّ الضجر، كمشهد صامت لصحراء خالية"(البخيت، 2018، ص 283)، فالأيام متشابهة، والحياة فقدت لذتها، والخروج من السجن أصبح حلمًا يستحيل الحصول عليه، والروتين قاتل في زنزانته التي تشبه فضاء الصحراء الواسعة الخالية من البشر والحياة، فالوقت لا يمضي، وترقُّب المصير في السجن لا يفارق تفكيره، وترقُّب مصير ابنته وحالها الصّحي في المشفى ضاعف عليه الألم والوحدة، وفقده للقراءة ومطالعة الكتب زاد من شعوره بالملل والانتظار، فهو قادر على تحمّل الوحدة والعذاب والعزلة، لكنه لا يستطيع مفارقة كتبه، وعالمه الذي يحبّه، فأحسّ في السجن بأنّ "عقارب الساعة قد توقفت" (البخيت، 2018، ص 229)؛ لصعوبة مرور الوقت.

فالزمن النفسيّ عند (يوسف) أتى على حالتين، إحداهما: زمن نفسيّ بطيء، والآخر: زمن نفسيّ سريع، وذلك التباطؤ والتسارع في الزمن انبثق من حالته النفسية، ففي حالة انتظاره، وترقّبه لخبر يطمئنه على ابنته التي ترقد في المشفى، أو انتظاره لقراءة الكتب، يطول به الزمن، ويثقل، ويتعاظم، ولكن اختلف الوقت، وبدأ في التسارع عندما علم بموعد قصاصه، فحينها اتّخذ الزمن النفسيّ مسارًا مغايرًا، وبدأ يحسّ باقتراب مصيره "أصبحت على بعد لحظات من موتي"(البخيت، 2018، ص 289)، فتلك الأيام المتبقية على قصاصه لم تعدْ إلا لحظات قصيرة، تفصله عن دنوّ أجله، فترقب موعد قصاصه

صاحَبَهُ خوف وهلع شديدان؛ لذلك تسارع الزمن، واختلف عن مسيرته السابقة، وتحول إلى سرعة مخيفة، تحولت للحظات عنده.

فالترقب اختلف معناه -هنا-؛ إذ إنّه جاء بمعنى ترقّب الخطر والهلاك؛ رغبة في دفعه، وإزاحته، والترقّب والانتظار السابق جاء بمعنى الرغبة في تسريع الوقت؛ للحصول على رغباته المقيّدة "ففترة الانتظار مهما قصرت مدتها تكون دومًا طويلة" (الصديقي، 1995، ص 46).

وممّا سبق يتضح أن الزمن النفسيّ في الروايات السابقة له سمات خاصة: فالزمن النفسيّ متعلق بالشخصية تعلّقًا متينًا؛ إذ إنّ الزمن لدى الشخصية المنعزلة يحدّد بحسب حالتها النفسية، فقد تمتدّ الساعة؛ لتصبح أيامًا، أو أكثر، وقد يمرّ الوقت سريعًا جدًّا، بحيث تمرّ الأيام، والأشهر، وتكون كاللحظات، إضافة إلى أنّ السبب الرئيس وراء ظهور الزمن النفسيّ هو المشاعر أو الموضوعات المختلفة: من رعب، ومعاناة، وحبّ، وعذاب، وانتظار، وأنّ الزمن النفسيّ يسير بطريقة خارجة عن الترتيب الفيزيائي الواقعي.

زمن تيار الوعي:

تعود جذور مصطلح تيار الوعي في بدايته إلى علم النفس، فهو مصطلح نفسيّ بامتياز، ابتدعه عالم النفس الأمريكي (وليم جيمس)، وقد استخدمه الأدباء لاحقًا؛ لاعتماده رمزًا أدبيًّا، يساعدهم في تصوير العمق الداخليّ، والذهنيّ للشخصية، فتيار الوعي يمثّل الشاشة الكاشفة التي تكتشف مكنونات الشخصية العميقة، ووعيها الذاتي (همفري، 2015، ص 21، 22).

وقد حظي تيار الوعي بميزّة القفزات السردية، وكسر الطريقة التقليدية التتابعية التي كانت تعتمد عليها الرواية سابقًا، ويمتاز السرد في هذا الأسلوب بارتباطه بضمير (الأنا) وهو أكثر الضمائر التصاقًا بالذات، إضافة إلى ارتباط زمن تيار الوعي بزمن النفس ارتباطًا وثيقًا، وذلك مما يساعد في وصف المشاعر الخفيّة، والتغلغل في أعماقها، فزمن تيار الوعي يركز على الذات الداخلية للشخصية؛ ليكشف عن الدوافع النفسية، والنزاعات الداخلية، حتى كأنّ العالم الداخلي النفسيّ للشخصية أصبح الهدف الرئيس الذي يدور حوله السرد(المخيلد، 2022، ص 502 -506).

ويُعرف تيار الوعي بأنّه: "تقنية سردية تستخدم للكشف عن الجوانب النفسيّة، والذهنيّة للشخصية، والغوص في أعماقها، ومعرفة صراعتها، ودواخلها"(بو سعد، 2017)، وهذا المصطلح يعبّر عن أمرين: الأول، هو تدفق الأفكار الذي يجري كتيار الماء في النهر، والثاني، هو المكان الذي يجري فيه هذا التدفق، أي: الوعي؛ لأنّ (اللاوعي) -وإن كان قائمًا في داخلنا- فإننا لا ندركه، ولا نستطيع التعبير عنه، إنما ندرك ما يرد منه إلى وعينا: كأجزاء الأحلام، وزلات القلم واللسان"(زيتوني، 2002، ص 163).

فتيار الوعي ليس مرادفًا للمنولوج الداخلي، بل إنّ المنولوج إحدى تقنيات تيّار الوعي، وهذا ما يجعل العلاقة بينهما تندرج تحت العامّ، والخاصّ، "بمعنى أنّ كلّ تيّار وعي هو منولوج، وليس كلّ منولوج تيار وعي... وتيار الوعي في حقيقته هو عبارة عن منولوج متشعب الأبعاد والأعماق"(الدريهم، 1435، ص 82).

ويشترك المصطلحان في صفة جوهرية واحدة، وهي "وضع الذهن في حالة بثّ مستمرّ، واتصال مع أجزاء النفس خيالًا، وذاكرة، وماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا في سياق زمنيّ خاصّ"(عبدالسلام، 1999، ص 110)، إضافة إلى ذلك؛ فإنّ المصطلحين يميلان إلى العشوائيّة، واستحضار الصور الذهنية بطريقة خالية من القيود والترتيب.

ويبرز زمن تيار الوعي في رواية "في ديسمبر تنتهي الأحلام" فبطل الرواية (هذام) يصوّر مقدار الزمن الذي عاشه خارج الوطن، ويبيّن حجم الألم والحسرة التي اتضحت من خلال استيعابه لوحدته، وجروحه العميقة بعد عشرين سنة؛ فالبعد والغربة عن وطنه، وأسرته لم تَشفيا جروحه، فالعزلة جعلتْه يتفكّر بما آلت إليه الحال: "اليوم أدرك أنني لم أنس.. وبأن ما

حدث، كل ما حدث، لا يزال نصب عيني مهما حاولت إغلاقهما... اليوم أعرف أن قلبي يئن، لا يزال يئن عتبا... أنا الذي لم أفهم يوما كيف فعل بي الوطن كل هذا، كيف انتزع مني تلك الطموحات والأحلام" (النشمي، 2011، ص 166)

ففي هذا المثال يتضح مدى تشابك أفكاره، وتدفّقها بغزارة، واختلاطها بين الماضي القاسي، والحاضر الأشدّ قسوة؛ إذ إنه يذهب إلى تذكر كلّ صغيرة وكبيرة حدثت له، ثم يبدأ في طرح الأسئلة الاستنكارية، ومحاولة استيعاب واقعه الحالي الذي اختاره في لحظة غضب وطيش، ثم في إسقاط كل ما حدث له خلال كل تلك السنوات من خيبات متتالية على الوطن الذي منعه رغباته؛ لأجل العادات والتقاليد، فهو بذلك استحضر الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر.

فاسترجاعه لذكرياته -استرجاعًا مستمرًّا- جعل المدّة الزمنية الطويلة التي قضاها في (لندن) تتلاشى كأنها لم تمرّ عليه، فتداخلت الأزمنة، واختلطت فلم يعد الزمن لديه في صورته الفيزيائية.

"عندما اضطجعت على فراشي، أخذت الوجوه والأسماء تتراقص في ذاكرتي،... ملامح أبي قبل عشرين عامًا... وجوه إخوتي الذين كانوا شبابًا... ابتسامات أخواتي.. أمي التي رحلت، وتركتني أصارع البشر والعادات والأحزان وحدي... تذكرت ليلى..!.. وبكيت!.. بكيت وبكيت وبكيت"(النشمي، 2011، ص 169، ص 170) فالتدفق الشعوري لدى (هذام) لا يسير على وتيرة متسلسلة؛ فهو غير مرتّب؛ فلا يُعرف مقدار ذلك الزمن الذي قضاه في مواجهة تلك المشاعر المتذبذبة؛ فتارة يُسقط آلامه وأحزانه على وطنه وأسرته، وتارة يأخذه الحنين والتوق، ويعود إلى تذكر أسرته، ومحبوبته ليلى، وتارة يبكي، وفي لحظة ينقلب كلّ ذلك الحال، فالعزلة جعلت الزمن يتداخل عليه، ويمتزج في انفعالات وصراعات داخلية، والصوت الداخليّ للشخصية المنعزلة هو الذي صنع ذلك الزمن النفسيّ المجهول، والعشوائية في استحضار المواقف السابقة والحاضرة.

ومما تقدم يُستنتج أنّ زمن تيار الوعي يتّسم بعدة سمات، أهمها: أنّه الزمن الذي يتمركز حول الماضي، والمستقبل، والحاضر، ويتركز -غالبًا- على المواقف والذكريات السابقة، أو التخيلية التي حدثت، أو لم تحدث بعد، أو يمكن توقّع حدوثها لاحقًا، وهذا ما يُطلق عليه الاستباق، والاسترجاع، إضافة إلى عشوائية هذا الزمن وتداخله؛ إذ إنه يتنقل من الماضي، ثم يعود إلى الحاضر وهكذا، وأيضًا؛ فإنّ زمن تيار الوعي يسمح للشخصيات بالولوج في أعمق الأفكار، والذكريات بطريقة -كما ذُكر سابقًا- غير مرتبة ودون قيود.

النتائج:

يتضح أن العزلة شكّلت أثرًا جوهريًا في الحكاية؛ فقد تناولت الشخصية المقهورة والشخصية الصابرة، وما ترتب عليهما من آثار نفسية واجتماعية. إضافة إلى عنصر المكان بنوعيه المفتوح والمغلق، وكيف أن المكان المفتوح تحول بفعل العزلة إلى مكان مغلق وعدواني، وكيف أثرت في المكان المغلق حتى أصبح أشد ضيقًا وانغلاقًا. كذلك أثرت العزلة في الزمن الذي خرج عن الزمن الفيزيائي الواقعي، إلى الزمن النفسي.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

1. أن هذه الدراسة جمعت بين الدراسة النقدية، والاجتماعية، والنفسية.
2. في دراسة موضوع العزلة يمكن الجمع بين دراسة القضايا النقدية والقضايا الاجتماعية والنفسية.
3. للعزلة أثر بالغ في تغيير مفهوم المكان، وطبيعته؛ فالمكان المفتوح بسبب العزلة أصبح مغلقًا، والمكان المغلق للشخصية المنعزلة أصبح أشد انغلاقيه وضيقًا؛ وكذلك الشخصية المنعزلة قامت بدور مُهمٍّ في تحديد هوية المكان، وطبيعته، حسب ما تشعر به من مشاعر، فالحالة النفسية تعدّ محورًا مُهمًّا في تشكيل المكان.

4.أن السبب الرئيس في نشوء ظاهرة الزمن النفسيّ هو وقوع الشخصية المنعزلة في صدمات نفسية، ومواقف قاسية، كان لها الأثر البارز في سير الزمن وتشكيله لديها، واختلافه عن الزمن الفيزيائيّ الواقعي بتحوله إلى الزمن النفسيّ الداخليّ.

5.أن الزمن النفسيّ في العزلة يأتي بطيئًا، وثقيلًا في المواقف المؤلمة، ويأتي سريعًا جدًّا في المواقف المبهجة، وكذلك الزمن النفسيّ لا يتسارع في الظروف السعيدة فحسب، بل في الأوقات الحرجة قد يصبح الزمن سريعًا سرعة مخيفة، مثل انتظار لحظة القصاص.

6.أن العزلة لها دور بارز في تشكيل البنية السردية في الروايات.

المراجع:

باشلار، غ. (1984). *جماليات المكان* (غالب هلسا، ترجمة؛ ط.2). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

بحراوي، ح. (1990). *بنية الشكل الروائي الفضاء الزمن الشخصية* (ط.1). المركز الثقافي العربي.

البخيت، م. (2018). *رواية هي راودتني عن نفسي*، (ط.6). مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع.

برديائف، ن. (1982). *العزلة والمجتمع* (فؤاد كامل عبد العزيز، ترجمة). الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ثابت، إ. أ. ع. (2018). عنف المكان في رواية "مصحف أحمر" للغربي عمران. *مجلة الآداب*، (8)، 308–318. https://doi.org/10.35696/.v8i8.531

الجرجاني، ع. (2011). *التعريفات*، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.

جنداري، إ. (2013). *الفضاء الروائي في أدب جبرا أبراهيم جبرا* (ط.1). دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع.

الحازمي، ح. ب. ح. (2006). *البناء الفني في الرواية السعودية دراسة نقدية تطبيقية* (ط.1). باحثون.

حجازي، م. (2005). *التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور*، (ط.9). المركز الثقافي العربي.

الدريهم، إ. (1435). *الزمن في الرواية السعودية المعاصرة* [أطروحة دكتوراه غير منشورة]، قسم اللغة العربية، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الرواجفة، ع. والرفوع، ع. م. (2007). أثر برنامج إرشادي في تخفيف الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى عينة من طلاب الصف الأول من المرحلة الثانوية في الأردن، *مجلة العلوم التربوية*، (12)، 15-42.

زيتوني، ل. (2002). *معجم مصطلحات نقد الرواية* (ط.1). دار النهار للنشر.

بو سعد، س. (2017). آليات تيار الوعي في رواية ليلة المليار لغادة السمان، *مجلة حوليات الآداب واللغات*، *5*(1)، 95-109.

سليمان، م. (2014). *رواية طيور العتمة* (ط.1). دار الساقي.

الشربيني، ل. (د.ت). *معجم مصطلحات الطب النفسي*، مركز تعريب العلوم الصحيّة.

الصديقي، ع. (1995). *الزمان أبعاده وبنيته* (ط.1). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

عبدالسلام، ف. (1999). *الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية*، (ط.1). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عبيدي، م. (2011). *جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة*، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

العليان، ق. (2000). *رواية أنثى العنكبوت* (ط.1). دار الكفاح للنشر والتوزيع.

العليان، ق. (2005). *رواية عيون قذرة* (ط.2). دار الفارس للنشر والتوزيع.

الغيثي س. ع. ي. (2018). الراوي وأثره في الأسلوب اللغوي في رواية "دملان" لحبيب سروري. *مجلة الآداب*، (8)، 365–344. https://doi.org/10.35696/.v8i8.533

قاسم، س. (2004). *بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ*، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

القصراوي، م. (2002). *الزمن في الرواية العربية* [أطروحة دكتوراه غير منشورة]، الجامعة الأردنية، الأردن.

مجموعة من المؤلفين. (2010). *معجم السرديات* (ط.1). دار الفارابي.

المحيميد، ي. (2003). *رواية فخاخ الرائحة* (ط.1). دار رياض الريّس للكتب والنشر.

المخيلد، إ. ع. (2022). تيار الوعي في رواية لُغُط موتى ليوسف المحيميد. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، (14)، 494–523. https://doi.org/10.53286/arts.v1i14.880

مشري، ع. (2006). *رواية المغزول* (ط.1). دار الكنوز الأدبية.

مشلق، س. (2016). *جماليات المكان في رواية "رحمة" لنجاة مزهود* [رسالة ماجستير غير منشورة]، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، الجزائر.

مصاص، ج. (2023). تداعيات الزمن النفسي في رواية التفكك لرشيد بو جدرة، *مجلة علوم اللغة العربية وآدابها*، *15* (1)، 454-466.

ابن منظور. (1414). *لسان العرب*، (ط.3). دار صادر.

مندولا. (1997). *الزمن والرواية* (بكر عباس، ترجمة؛ ط.1). دار صادر.

النشمي، أ. (2011). رواية في ديسمبر تنتهي كل الأحلام، في ديسمبر تنتهي كل الأحلام (ط.2). دار الفارابي للنشر والتوزيع.

النصير، ي. (2011). *الرواية والمكان*، دار الشؤون الثقافية العامة.

همفري، ر. (2015). *تيار الوعي في الرواية الحديثة* (محمود الربيعي، ترجمة؛ ط.1). المركز القومي للترجمة.

هيبة، ز. (2020). *اكتشاف العزلة متعة الحوار الصامت* (ط.1). دار تكوين للنشر والتوزيع.

واصل ع. (2025). فضاء المهمش في الرواية اليمنية. *مجلة جامعة المهرة للعلوم الإنسانية*، 6(1)، 237–258. https://doi.org/10.71311/.v6i1.217

واصل، ع. (2021). تجليات عدن في الرواية اليمنية - التمظهرات والقضايا والأبعاد، *مجلة عالم الفكر*، (183)، 57-83.

واصل، ع. (2025). متخيل السجن في الرواية اليمنية. *مجلة الخطاب*، *20* (1)، 13-48.

واصل ع. (2025). العنف ضد الأخدام في الرواية اليمنية. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، 7(1)، 145–163. https://doi.org/10.53286/arts.v7i1.2382

اليزيدي أ. ع. م. ح. (2018). بناء الشخصية الرئيسة وأبرز ملامحها في سورة يوسف. *مجلة الآداب*، (9)، 5–49. https://doi.org/10.35696/.v1i9.537

References

'Abd al-Salam, F .(1999) .*Narrative dialogue: Techniques and narrative relations* (Ed. 1). Al-Mu'assasa al-'Arabiyya lil-Dirasat wa al-Nashr.

'Abidi, M .(2011) .*The poetics of space in Hanna Mina's trilogy* .Al-Hay'a al-'Amma al-Suriyya lil-Kitab.

Al-'Alyan, Q .(2000) .*The Spider Woman* (Ed. 1). Dar al-Kifah lil-Nashr wa al-Tawzi.'

Al-'Alyan, Q .(2005) .*Dirty Eyes* (Ed. 2). Dar al-Faris lil-Nashr wa al-Tawzi.'

Al-Bakhit, M .(2018) .*She tempted me from myself* (Ed. 6). Markaz al-Adab al-'Arabi lil-Nashr wa al-Tawzi.'

Al-Duraim, I .(1435) .*Time in the contemporary Saudi novel* [Unpublished doctoral dissertation]. Department of Arabic Language, College of Arabic Language, Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University.

Al-Ghaithi, S. A. Y. . (2018). The Narrator and its Impact on the Linguistic Style in the novel of Habib Sorouri's "Damlan". *Journal of Arts*, *8*(8), 365–344. https://doi.org/10.35696/.v8i8.533

Al-Hazmi, H. B. H .(2006) .*The artistic structure in the Saudi novel: An applied critical study* (Ed. 1). Bahithun.

Al-Jurjani, A .(2011) .*Definitions* .Dar al-Fadila lil-Nashr wa al-Tawzi' wa al-Tasdir.

Al-Muhaimid, Y .(2003) .*Traps of Scent* (Ed. 1). Dar Riyad al-Rayyis lil-Kutub wa al-Nashr.

Al-Mukhiled, I. A. . (2022). Stream of Consciousness in Youssef Al-Muhaimid's Novel "The Murmur of the Death". *Arts for Linguistic & Literary Studies*, (14), 494–523. https://doi.org/10.53286/arts.v1i14.880

Al-Nashmi, A .(2011) .*In December All Dreams End* ،in *In December All Dreams End* (Ed. 2). Dar al-Farabi lil-Nashr wa al-Tawzi.'

Al-Nasir, Y .(2011) .*The novel and space* .Dar al-Shu'un al-Thaqafiyya al-'Amma.

Al-Qasrawi, M .(2002) .*Time in the Arabic novel* [Unpublished doctoral dissertation]. University of Jordan, Jordan.

Al-Rawajfa, A & ،.Al-Rufou', A. M. (2007). The impact of a counseling program on reducing social isolation among first-year secondary students in Jordan .*Majallat al-'Ulum al-Tarbawiyya*.42–15 ،(12) ،

Al-Sharbini, L. (n.d.) .*Dictionary of psychiatric terminology* .Markaz Ta'rib al-'Ulum al-Sihiyya.

Al-Siddiqi, A .(1995) .*Time: Its dimensions and structure* (Ed. 1). Al-Mu'assasa al-Jami'iyya lil-Dirasat wa al-Nashr wa al-Tawzi.'

Al-Yazidi, A. A. M. H. . (2018). Building the Main Character and its Most Prominent Features in Surat Yusuf. *Journal of Arts*, *1*(9), 5–49. https://doi.org/10.35696/.v1i9.537

Bachelard, G .(1984) .*The poetics of space* (Ghaleb Halsa, Trans.; Ed. 2). Al-Mu'assasa Al-Jami'iyya lil-Dirasat wa al-Nashr wa al-Tawzi.'

Bahrawi, H .(1990) .*The structure of the novelistic form: Space, time, character* (Ed. 1). Al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi.

Berdiaev, N .(1982) .*Loneliness and society* (Fuad Kamel Abd al-Aziz, Trans.). Al-Hay'a al-Misriyya al-'Amma lil-Kitab.

Bu Sa'd, S. (2017). Mechanisms of stream of consciousness in *Night of the Billion* by Ghada al-Samman .*Hawliyat al-Adab wa al-Lughat*.109–95 ،(1)5 ،

Group of Authors .(2010) .*Dictionary of narratology* (Ed. 1). Dar al-Farabi.

Hayba, Z .(2020) .*Discovering solitude: The pleasure of silent dialogue* (Ed. 1). Dar Takwin lil-Nashr wa al-Tawzi.'

Hijazi, M .(2005) .*Social backwardness: An introduction to the psychology of the oppressed* (Ed. 9). Al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi.

Humphrey, R .(2015) .*Stream of consciousness in the modern novel* (Mahmoud al-Ruba'i, Trans.; Ed. 1). Al-Markaz al-Qawmi lil-Tarjama.

Ibn Manzur .(1414) .*Lisan al-'Arab* (Ed. 3). Dar Sader.

Jandari, I .(2013) .*The novelistic space in the works of Jabra Ibrahim Jabra* (Ed. 1). Dar Tamuz lil-Tiba'a wa al-Nashr wa al-Tawzi.'

Mandola .(1997) .*Time and the novel* (Bakr Abbas, Trans.; Ed. 1). Dar Sader.

Mashlaq, S .(2016) .*The poetics of space in the novel "Rahma" by Najat Mazhoud* [Unpublished master's thesis]. Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Languages, Mohamed Khider University, Algeria.

Mashri, A .(2006) .*The Spun* (Ed. 1). Dar al-Kunuz al-Adabiyya.

Massas, J. (2023). Psychological time implications in Rachid Boudjedra's novel *Dissolution* .*Journal of Arabic Language Sciences and Literature*.466–454 ،(1)15 ،

Qasim, S .(2004) .*Constructing the novel: A comparative study of Naguib Mahfouz's trilogy* .Al-Hay'a al-Misriyya al-'Amma lil-Kitab.

Sulayman, M .(2014) .*Birds of Darkness* (Ed. 1). Dar al-Saqi.

Thabet, I. A. A. . (2018). Violence of the Place in Imran's novel " mus'haf ahmar ." *Journal of Arts* .318–308 ،(8)*8*، https://doi.org/10.35696/.v8i8.531

Wasel, A. (2025). The Prison Imaginary in Yemeni Novels, *Al-Khitab*.48–13 ،(1)20 ،

Wasel, A. (2025). The Space of the Marginalized in the Yemeni Novel. AL-Mahrah Journal of Humanities, 6(1), 237–258. https://doi.org/10.71311/.v6i1.217

Wasel, E. (2021). Manifestations of Aden in the Yemeni Novel - Appearances, Issues and Dimensions, *Alam Al-Fikr Journal*, (183), 57-83.

Wasel, E. (2025). Violence Against the Akhdam 'Marginalized Black Community' in Yemeni Fiction .*Arts for Linguistic & Literary Studies* .163–145 ،(1)*7* ،https://doi.org/10.53286/arts.v7i1.2382

Zaytuni, L .(2002) .*Dictionary of novel criticism terminology* (Ed. 1). Dar al-Nahar lil-Nashr.